

الوافي في الوفيات

فأطاع البلى فصار خليعاً ... ليس يُعطي الرفاء في الرفو طاعه ° .
فإذا سائلٌ رآني فيه ... طنٌ أني فتى من أهل الصناعه ° .
وقال فيه أيضاً من الرمل : .
طيلسانُ لابن حربٍ جاءني ... خلعة في يوم نحسٍ مستمر ° .
وإذا ما صرحت فيه صيحة ... تركته كهشيم المحتضر ° .
وإذا ما الريح هبت نحوه ... طيرته كالجراد المنتشر ° .
مُطهرٌ الداعي إلى الرافي إذا ... ما رآه قال : ذا شيء نُكُـر ° .
فإذا رفأؤه حاول أن ... يتلافاه تعاطى فعَقَر ° .
وقال فيه أيضاً من الخفيف : .
يا ابن حربٍ كسوتني طيلساناً ... يُزِرُّ رَعُ الرفو فيه وهو سباخ ° .
مات رفأؤه ومات بنوه ... وبدا الشيبُ في بنيهم وشاخوا .
وقال فيه من المتقارب : .
أيا طيلساني أعيتَ طبيي ... أسلُّ بجسمك أم داءُ حُبِّ .
ويا ريحُ صيرتني أثقيل ... وقد كنتُ لا أتقي أن تهُبِّي .
ومُسْتَخبرٌ خبِرَ الطيلسان ... فقلتُ له : الروحُ من أمر ربِّي .
وقال فيه من الرمل : .
طيلسانُ لابن حربٍ جاءني ... قد قضى التمزيق منه وطره ° .
أنا من خوفي عليه أبدا ... سامريُّ ليس يألو حَذره ° .
يا ابن حربٍ خذْهُ أو فابعث بما ... نشترى عَجْلاً بصَفَرٍ عشره ° .
فلعلَّ إِيَّاهُ يحييه لنا ... إن ضربناه ببعض البقره ° .
فهو قد أدرك نوحاً فعسى ... قد حوى من علم نوحٍ خبره ° .
أبداً يقرأ مَنْ أبصره ... " أإذ كنّا عِظاماً نَخِرّه " ° .
وقال فيه أيضاً من الخفيف : .
يا ابن حربٍ أطلت فقري برفؤي ... طيلساناً قد كنت عنه غنياً .
فهو في الرفو آلُ فرعون في العَر ° ... ض على الناء غُدوةً وعشياً .
زُرتُ فيه معاشراً فازدروني ... فتغنيتُ إذ رأوني زرياً : .
جئت في زيِّ سائلٍ كي أراكم ... وعلى الباب قد وقفت مليا .

وقال فيه أيضاً من الوافر : .

وهبتَ لنا ابنَ حربٍ طيلساناً ... يزيد المرءَ ذا الضعّة اتّضاعاً .

يسلّم صاحبي فيفيد شتمّي ... لأنّ الروحَ تُكسبه انصداً .

أُجِلُّ الطّـرْفَ في طـرَفَيْهِ طولاً ... وعرضاً ما أرى إلّا رقااً .

فلمستُ أشكّ أنّ قد كان قدّملاً ... لنوحٍ في سفينته شرااً .

فقد غدّيتُ إذ أبصرتُ منه ... جوانبه على بدني تداعى .

قَفِي قبل التفرّق يا ضباعاً ... ولا يكُ مَوْقِفُ منكَ الوَداعاً .

ويقال فيه : إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع في كل مقطوع معنى بديع . وقيل : إن الحمدوني وقف على أبيات عملها أبو حمران السلمي في طيلسانه وكان قد بلي وهي من البسيط . :

يا طيلسانَ أبي حمران قد برّمتُ ... بك الحياةُ فما تلتذّ بالعمُر .

في كلّ يومَين رؤّاءٌ يجدّده ... هَيَّاهُ ينفع تجديدُ مع الكـِبَرِ ؟ .

إذا ارتداه لعيدٍ أو لجُمُعته ... تنكّب الناسَ أن يبلى من النظر .

وذكرت هنا ما كتبه ناصر الدين حسن بن النقيب إلى السراج عمر الوراق من البسيط :

لو فَرَّ بغلي من اصْطَبلي لَقَلْتُ لمن ... يجري وراه : تمهّلْ أيّها الساري ! .

ففي زُقاق سراج الدين موقفُهُ ... أو ذلك الخطّ أو في حَوْمة الدار .

وطيلسان ابن حرب قد سمعتَ به ... من طولٍ بعثٍ وتردادٍ وتكرار .

فأجاب السراج ونقلتهما من خطه من البسيط :

أفُدي خُطاك ولو كانت على بصري ... لكان في ذاك تشريف لمقداري .

وإنّ دارك صانٌ مـالِكـَها ... أعزُّ عندي من أهلي ومن داري .

وطيلسان ابن حرب في ترددٍ هـ ... قلبي إليك من الأشواق في نار